الكرسي الرسولي

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامة

تعليم

في الشّيخوخة

الأربعاء 30 آذار/مارس 2022

قاعة بولس السادس

5. الأمانة لزيارة الله للجيل القادم

[Multimedia]

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

في مسيرة التّعليم المسيحيّ في موضوع الشّيخوخة، نتأمّل اليوم في اللوحة المؤثرة التي رسمها القدّيس لوقا الإنجيليّ، الذي قدّم لنا شخصَين كبيرَين في السّن، هما سمعان وحنّة. كان سبب بقائهما على قيد الحياة، قبل أن يغادرا هذا العالم، هو انتظارهما لزيارة الله لهما. كانا ينتظران أن يزورهما الله، أي يسوع. عرف سمعان، بوحيّ سابق من الرّوح القدس، أنّه لن يموت قبل أن يرى المسيح. وكانت حنّة تتردّد إلى الهيكل كلّ يوم وتكرّس نفسها لخدمته. اعترف كلاهما بحضور الرّبّ في الطّفل يسوع، الذي ملأ انتظارهما الطّويل بالتّعزية، وألقى صفاء وطمأنينة على ساعة وداعهما للحياة. هذا المشهد هو لقاء مع يسوع ووداعه.

ماذا يمكننا أن نتعلّم من هذَيْن الشخصَيْن المتقدِّمَيْن في السّن، والمليئَين بالحيويّة الروحيّة؟

يمكننا أن نتعلّم أنّ الأمانة في الانتظار تنقّي الحواس. ثمّ، نحن نعلم أنّ الرّوح القدس يفعل بالتّحديد ما يلي: إنّه ينير الحواس. في الترنيمة القديمة "هلمّ أيّها الرّوح الخالق" (Veni Creator Spiritus)، التي ما زلنا نطلب بها حضور الرّوح القدس اليوم، نقول: "أضئ الحواسَ بالنور". أشعل نورًا يضيء حواسنا، أضيء حواسنا. الرّوح قادرٌ أن يفعل هذا: يَصقل حواس النّفس، على الرّغم من محدوديّة وجراح حواس الجسد. الشّيخوخة تُضعف، بطريقة أو بأخرى، حساسيّة

نحن بحاجة اليوم إلى هذا أكثر من أيّ وقتٍ مضى: نحن بحاجة إلى شيخوخة تتمتّع بأحاسيس روحيّة حيّة، وقادرة أن تتعرّف على آيات الله، بل على آية الله، التي هي يسوع المسيح. الآية التي تضعنا في أزمة، دائمًا: يسوع يضعنا في أزمة لأنّه - هو "آيَة مُعَرّضَة لِلرّفْض" (لوقا 2، 34) - ولكنّها تملأنا بالفرح. لأنّ الأزمة لا تحمل لنا الحزن بالضّرورة، لا: أن نكون في أزمة ونخدم الرّبّ يسوع، يعطينا هذا في كثير من الأحيان السّلام والفرح. فقدان الحواس الروحيّة – وهذا سيء – فقدان الحواس الروحيّة، في إثارة وذهول الحواس الجسديّة، هو سمة منتشرة في مجتمع ينمّي وَهْمَ الشّباب الأبدي، وأخطر سماته تكمن في عدم وعي المجتمع على أنّ عدم وعيه آخذ في الازدياد. ولا ينتبه أنه مخدّر. وهذا يحدث: لقد حدث دائمًا ويحدث في وقتنا. الحواس مخدّرة، من دون أن نفهم ما يحدث. الحواس الداخليّة وحواس الرّوح حتى نفهم حضور الله أو حضور الشّرّ هي مخدّرة، ولا تميّز.

عندما تفقد حاسّة اللّمس أو الذوق، تلاحظ ذلك مباشرة. بينما، يمكنك أن تتجاهل حاسّة الرّوح، حاسّة الرّوح تلك، مدّة طويلة، وتعيش من دون أن تنتبه أنّك فقدت حاسّة الرّوح. الإحساس الرّوحي لا يشمل فقط التّفكير في الله أو في الدّين. شلل الإحساس الرّوحي يشمل الرّحمة والرّأفة، والخجل والنّدم، والأمانة والتّفاني، والحنان والشّرف، والمسؤوليّة الشخصيّة والتألّم مع الآخر. إنّه أمر مثير للاهتمام: شلل الإحساس يجعلك غير قادر أن تفهم الرّأفة، والشّفقة، وغير قادر أن تشعر بالخجل أو النّدم على اقترافك أمرًا سيّئًا. هكذا هي: الحواس الروحيّة المخدّرة تخلط كلّ شيء وتجعلك لا تشعر روحيًّا بهذه الأمور. وتصبح الشّيخوخة، إن صحّ التعبير، الضّحيّة الأولى لفقدان هذه الحساسيّة الرّوحيّة. في مجتمع يمارس الحساسيّة من أجل الاستمتاع أوّلاً، لا يمكن إلاّ أن يفقد إحساسه تجاه الأضعفين، وستسود دائمًا منافسة المنتصرين. وهكذا نفقد الحساسيّة. بالتّأكيد، إنّ خطاب الاندماج هو الصّيغة الدارجة لكلّ خطاب يُعتبر مناسبًا "للسياسة المتبعة". لكنّه حتى الآن لم يصنع أي إصلاح حقيقي في طرق العيش معًا بصورة طبيعيّة: نعم، هناك جهد لتنميّة ثقافة شفقة اجتماعيّة. لا: لكنّ روح الأخوّة الإنسانيّة - الذي بدا لي أنّه من الضروري إحياؤه وبحزم – يشبه ثوبًا وُضِع على جهة، نُعجَب به، نعم، لكنّه... في متحف. نفقد الحساسيّة الانسانيّة، ونفقد حركات الرّوح التي تجعلنا بشرًا.

هذا صحيح، يمكننا في الحياة الواقعيّة أن نلاحظ، بشكرٍ وتأثّر، شبابًا كثيرين قادرين أن يحترموا هذه الأخوّة بشكل كامل. لكن، هنا بالتّحديد تكمن المشكلة: هناك فجوة، فجوة مذنبة، بين شهادة صفاء هذه الشفقة الاجتماعيّة، وضرورة التمثّل بالموقف العام الذي يفرض على الشّباب أن يصوغوا أنفسهم بطريقة مختلفة تمامًا. ماذا يمكننا أن نفعل لسدّ هذه الفجوة؟

من قصة سمعان وحنة، وأيضًا من قصص الكتاب المقدس الأخرى للشيخوخة الحساسة للرّوح، هناك إشارة خفية تستحق أن تظهر في المقدمة. ما هو الوحيّ الذي أشعل حساسية سمعان وحنة؟ إنّه وحيّ ليروا في طفل، لم يلدوه هم، ورأوْه لأوّل مرة، أنّه العلامة الأكيدة لزيارة الله لهما. وقبلوا أن لا يكونوا هم الشخصيّات الرئيسيّة، بل مجرد شهود. وعندما يقبل أحدهم ألاّ يكون شخصيّة رئيسيّة، بل يقبل أن يشارك مثل شاهد، الأمر سيسير على ما يرام: ذلك الرجل أو تلك المرأة سينضج جيّدًا. لكن إن كان لديه دائمًا الرّغبة في أن يكون شخصيّة رئيسيّة، عندها لن تنضج أبدًا فيه هذه المسيرة نحو كمال الشّيخوخة. زيارة الله لا تتجسّد في حياتهما (سمعان وحنّة)، وفي حياة الذين يريدون أن يكونوا شخصيّات رئيسيّة فقط وليس شهودًا، ولا تجعلهم يظهرون على أنّهم المخلّصون: فالله لا يتجسّد في جيلهم، بل في الجيل الذي سيأتي. إنّهم يفقدون روحهم، ويفقدون الرّغبة في العيش مع النّضج، وكما يُقال عادة، يعيشون بشكل سطحيّ. إنّه جيل السطحيّين الكبير، الذين لا يسمحون لأنفسهم بأن يشعروا بالأمور بحساسيّة الرّوح. لكن لماذا لا يسمحون بذلك؟ من جهة بسبب الكسل، ومن جهة أخرى لأنّهم لا يستطيعون بالفعل: لقد فقدوها. إنّه لأمر سيءٌ أن تفقد حضارة ما حساسيّة الرّوح. بينما إنّه لأمر رائع عندما نجد شيوخًا مثل سمعان وحنّة يحافظون على حساسيّة الرّوح هذه، وقادرين أن يفهموا المواقف المختلفة، مثلما فهم هذان الشّيخان الموقف الذي كان أمامهما وهو ظهور المسيح. ولم يصدر منهما أي استياء ولا لوم على هذا، عندما كانا في حالة السّكون هذه. بدلًا من ذلك، نشأ فيهما انفعال كبير وتعزيّة كبيرة عندما كانت الحواسّ الروحيّة حيّة فيهما. انفعال وتعزيّة بأن يكونا قادرَين على رؤية وإعلان أنّ تاريخ جيلهم لم يكن ضياعًا ولا تبديدًا، بسبب حدثٍ تجسّد وتجلّى في جيل من بعدهم. وهذا ما يشعر به كبير السنّ عندما يذهب أحفاده للتحدّث معه: يشعر بالانتعاش. وكأنّه يقول: "حياتي ما تزال هنا". مهمٌ جدًّا أن نذهب إلى كبار السنّ،

الشيخوخة الروحيّة وحدها يمكن أن تعطي هذه الشهادة المتواضعة والرائعة، شهادة صادقة ومثالية يَقتدِي بها الجميع. الشيخوخة التي تنمّي حساسية الرّوح تطفئ كلّ حسد بين الأجيال، وكلّ ضغينة، وكلّ اتهام مضاد لمجيء الله في الأجيال القادمة، الذي يأتي مع مغادرة "كبير السّن" للحياة. وهذا ما يحدث لكبير السنّ المنفتح على شاب منفتح: فكبير السّن يودّع الحياة، ولكنّه يسلّم حياته للجيل القادم. وهذا هو وداع سمعان وحنّة للحياة: "الآن يمكنني أن أغادر بسلام". الحساسيّة الروحيّة في الشيخوخة قادرة على كسر المنافسة والصراع بين الأجيال بصورة صادقة ونهائية. هذه الحساسية تتخطّى أمورًا كثيرة: بهذه الحساسيّة يتغلّب كبار السنّ على الصّراع، ويتجاوزونه، ويذهبون إلى الوَحدة، وليس إلى الصّراع. هذا بالتّأكيد مستحيل على الإنسان، لكنّه ممكن عند لله. واليوم نحن بحاجة إليه كثيراً، وإلى حساسيّة الرّوح، وإلى نضج الرّوح. نحن بحاجة إلى كبار سنٍ حكماء، وناضجين بالرّوح يمنحوننا الرّجاء في الحياة!

****

مِنْ إنْجِيلِ رَبّنا يسوعَ المسيحِ للقدّيس لوقا (2، 25-30)

وكانَ في أُورَشَليمَ رَجُلٌ بارٌ تَقيٌّ اسمُه سِمعان، يَنتَظرُ الفَرَجَ لإسرائيل، والرُّوحُ القُدُسُ نازلٌ علَيه. وكانَ الرُّوحُ القُدُسُ قد أوحى إلَيه أنّه لا يَرى الموتَ قَبلَ أن يُعاينَ مَسيحَ الرّبّ. فأتى الهَيكَلَ بِدافِعٍ مِنَ الرُّوح. ولـمّا دَخَلَ بِالطِّفلِ يَسوعَ أَبَواه، لِيُؤَدّيا عَنهُ ما تَفرضُهُ الشّريعَة، حَمَلَهُ عَلى ذِراعَيهِ وَبارَكَ اللهَ فقال: الآنَ تُطلِقُ، يا سَيّد، عَبدَكَ بِسَلام، وَفْقاً لِقَوْلِكَ فقَد رَأَت عَينايَ خلاصَكَ.

كلامُ الرّبّ

****

Speaker:

تَكلّمَ قَداسَةُ البابا اليَومَ علَى الأمانةِ لزيارةِ اللهِ للجيلِ القادم وقال: كانَ سببُ بقاءِ سمعانَ وحنّة على قيدِ الحياةِ هو انتظارُهُما لزيارةِ اللهِ لهُما. عَرَفَ سمعانُ مِنَ الرّوحِ القدس أنّهُ لنْ يموتَ قبلَ أنْ يُعاينَ مَسيحَ الرّبّ. وبقيَتْ حنّةُ تتردّدُ كلّ يومٍ إلى الهيكلِ مُكرسَةً نَفسَها لخدمتِه. وتساءَل قداستُهُ: ماذا يمكنُنا أنْ نتعلّمَ مِنْ سمعانَ وحنّةَ الطاعنَين في السّنِ والمليئَين بالحيويّةِ الرُوحيّة؟ يمكنُنا أنْ نتعلّمَ أنّ الأمانةَ في انتظار الرّبّ تُنقّي الحَواس. والرُّوحُ القدُس نفسُهُ هو مَنْ يُنيرُ حواسَنا الرُوحيّةَ خاصةً، حتّى لَو كَبِرنا بالسِّن. الإحساسُ الرُوحيٌّ لا يشمَلُ فقط التّفكيرَ في اللهِ أو في الدِّين، بل هو الرّحمةُ والرّأفة، والخجلُ والنّدم، والأَمانَةُ والتّفاني، والحنانُ والشّرف، والمَسؤُوليّةُ الشخصيّةُ والشُعورُ بألَمِ الآخر. وفي مُجتَمَعٍ يُمارسُ أوّلاً الحواسَ من أجلِ الاستِمتاع، لا يمكنُ أنْ يَنْتَبِهَ إلى الأضْعَفين، وَستَسُودُهُ روحُ المنافسةِ وروحُ الأقويّاء. مِن قصةِ سمعانَ وحنّة، نَجِدُ أيضًا أنّ كِلَيهما عَرَفا أنّهُما ليسا مِنَ الشَخصِيّاتِ الرَئيسيّة، بل هما مُجَرّدُ شاهِدَين، وأنّ الشخصيّاتِ الرئيسيّةَ سوف تَظهَرُ في الجيلِ الّذي سَيأتي بعدَهُم. ولهذا فَهُم لنا مثالٌ صادِقٌ نَقتَدِي بِهِ.

****

Santo Padre:

Saluto i fedeli di lingua araba, in particolare quelli provenienti dalla Terra Santa, dalla scuola delle Suore di Nazareth di Haifa. La vecchiaia, che ha coltivato la sensibilità dell'anima, spegne ogni risentimento e recriminazione tra le generazioni per un avvento di Dio nella generazione successiva, ed è in grado di abbattere la competizione e il conflitto generazionale in modo credibile e definitivo. Il Signore vi benedica tutti e vi protegga sempre da ogni male!

****

Speaker:

أُحَيِّي المؤمِنِينَ الناطِقِينَ باللغَةِ العربيّة وخاصةً القادِمينَ مِنَ الأرضِ المقدّسة، مِنْ مدرسَةِ راهباتِ الناصِرة في حيفا. الشّيخُوخَةُ الّتِي تُنمّي حَساسِيةَ الرّوحِ تُطفئُ كُلّ ضَغِينَةٍ وكُلّ اتِهامٍ مُضادٍ بَينَ الأجيالِ لِمَجيءِ اللهِ في الجيلِ القادِمِ، وهِيَ قادِرَةٌ علَى كَسرِ المُنافَسَةِ والصِّراعِ بَينَ الأجيالِ بِطَرِيقَةٍ صادِقَةٍ وَنِهائِيّة. باركَكُم الرّبُّ جَميعًا وحَماكُم دائِمًا مِن كُلّ شَرّ!

****

© جميع الحقوق محفوظة – حاضرة الفاتيكان 2022

Copyright © Dicastero per la Comunicazione - Libreria Editrice Vaticana